حارس البحر الأخير

كانت المدينة الساحلية هادئة في ظاهرها، لكن البحر لم يكن كذلك، في كل يوم يقترب الشاطئ أكثر، ويقلّ عدد الأسماك، وتختفي الشّعب المرجانية كأنها تُسْحب من تحت الماء، أهل المدينة اعتادوا التذمر، لكن لا أحد حاول أن يفهم السبب الحقيقي إلا فتاة واحدة.. اسمها لُجَّة، كانت موقنةً أن البحر يملك روحًا، وأنه يتكلم بلغة لا يسمعها إلا من يقترب منه بقلب هادئ. في الأسابيع الأخيرة تغيّر البحر، لونه ازداد كدرًا، رائحته لم تعد كما كانت، وأصوات الأمواج صارت أقرب إلى التأوُّه، أحسّت لُجّة أن البحرَ يطلب المساعدة.

في يومٍ غائم، بينما كانت تقف قرب حافة الصخور، لاحظت ظلًّا هائلًا يتحرّك تحت المياه، تجمَّدت مكانها، ومع اقتراب الظل من السطح، ارتفع شيءٌ ضخم! إنه حوت أزرق، أكبر مخلوق رأته في حياتها.

لكنَّ الغريب .. أنّ الحوت لم يكن عابرًا، كان يقف في نفس المكان، لا يبتعد، وكأنه يحرس بقعة محددة من البحر، وقفت لُجَّة مذهولة، وفجأة شعرت بشيء غريب .. إحساسٌ يشبه الهمس داخل رأسها، لم يكن صوتًا بشريًّا، بل رسالةً شعورية:

"لا تقتربي كثيرًا، الحاجز يضعف"

ارتجفت يداها .. كيف تسمع صوتًا من الحوت؟

لكنها لم تشكَّ .. البحر لم يخدعها يومًا.

في الأيام التالية.. عادت لُجَّة أكثر من مرة، كلما راقبت الحوت لاحظت أن المياه حوله تهتز بشكلٍ غريب، كأن تحتها طبقة رقيقة من نورٍ أو طاقة، وبعد مراقبةٍ طويلة رأت شيئًا لم تتوقعه، لحظةٌ قصيرة ظهرت فيها قُبَّة من الضوء تحت سطح الماء ثم اختفت بسرعة.

- شهقت لُجَّة: هناك حاجزٌ .. حاجزٌ حقيقي ! والحوت يحرسه.
- سمعت رسالته مجددًا: "إن سقط الحاجز .. فقد ينتهي كلَّ شيء".

فهمت لُجَّة المعنى، البحر مهدّد، والحوت ليس مجرد مخلوقٍ ضخم، بل حارس.

لكن المشكلة بدأت عندما اكتشف الصيادون وجود الحوت، وكان الأمر المهم لديهم اصطياد الحوت، قرَّروا أن يصطادوه فجرًا، متخيلين أن قتله سيعيد الأسماك إلى البحر.

حين سمعت لُجَّة خطتهم شعرت كأن قلبها سقط في مكانه، ركضت قبل الفجر عائدةً إلى الشاطئ، والضباب يغطي البحر، الحوت كان هناك. هادئٌ لكنه يبدو متعبًا، وقفت أمامه وهمست: كيف أحميك؟

وصلَتها رسالته الأخيرة كأنها تنهيدة "افعلي ما تستطيعين .. فالوقت ينفد".

في تلك اللحظة بدأت أصوات المحركات تُسْمَعُ من بعيد، القوارب تتحرك، الصيادون يقتربون، والشّباك العملاقة جاهزة.

لم تفكر لُجَّة كثيرًا، ركضت نحو أحد القوارب، وقفزت عليه قبل أن يمنعها أحد.

صرخت "ليس من المعقول اصطياد الحوت، إنه يحمي البحر، دونه سيموت كل شيء".

ضحك أحد الصيادين وقال: حيوانٌ ضخم يبتلع الأسماك، نريد أن نتخلص منه.

وقفت لُجَّة أمامهم بعنادٍ لم يعرفوه عنها من قبل، وقالت: "أنا رأيت الحقيقة في البحر نفسه، الحوت لا يقتل رزقكم، الحوت يحمي رزق المدينة كلها". لكن لم يصدقها أحد، واستمروا بالتقدم ناحية الحوت.

عندها فعلت لُجَّة شيئًا لم تتجرَّأ عليه يومًا، قفزت من القارب إلى الماء البارد، بدأت تسبح بكل قوتها متجهة نحو الحوت، لم تكن سباحة ماهرة، لكن خوفها على البحر كان أكبر من خوفها على نفسها، رآها الحوت وتحرك لأول مرة بعيدًا عن مكانه، مدَّ زعنفته الضخمة قليلًا، كأنه يوجّه موجةً تمنعها من الغرق، وفي اللحظة نفسها حدث شيء غريب!

بدأ الحاجز تحت الماء يضيء بقوة، كأنه يستجيب لوجود لُجَّة، رأى الصيادون الضوء.. توقفوا.. نظروا لبعضهم بخوف، قال أحدهم: ما هذا الشيء؟

ظهر تحت الماء عالمٌ كامل يشعُّ بالنور الأزرق، شعاب مرجانية، أسماك صغيرة، أسراب تتحرك بتناغم .. كل هذا كان محميًّا بهذا الحاجز، لو سقط .. يختفي كل شيء.

صرخت لُجَّة من وسط الماء: أفهمتم الآن؟ هذا الحوت يحمي الحاجز.. يحمي الحياة التي تعيشون عليها.

بدأ الصيادون بالتراجع، وقال القائد بصوت خافت: "لا نستطيع لمسه .. لو نؤذيه، نخسر كل شيء".

عادوا إلى الشاطئ بصمت وكأنهم يرون البحر لأول مرة، أما لُجَّة فاقتربت من الحوت الذي عاد إلى مكانه، اقترب رأسه الضخم منها وأرسل لها رسالة أخيرة:

"لم يكن الأمر الهام إنقاذي أنا .. بل إنقاذ ما تبقى من جمال هذا العالم، ولا تنسي يا لُجَّة أن معجم العين للفراهيدي متوفر لتصحيح الكلمات كما صححت لكِ كلمة: الأمر المهم إلى الأمر الهام، وهكذا تم تصويب كلمتك".

ابتسمت لُجَّة، عرفت أن البحر اختارها لتكون صوته، ومن يومها أصبحت لُجَّة حاميةً للبحر مثل الحوت تمامًا، وكلما رأت الضوء الأزرق تحت الماء، عرفت أن الحياة تستمر لأن أحدهم وقف لحمايتها في الوقت المناسب.

القيمة: الحفاظ على البيئة مسؤولية الجميع، وأهمية حمايتها وحماية الكائنات البحرية، والشجاعة في الدفاع عن الحق، وأخيرًا أن كل كائن حي له دور لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى، وأن الإنسان يجب أن يكون جزءًا من الحل وليس جزءًا من المشكلة.

المفردة الشائعة وتصويبها: (الأمر المهم) تصويبها (الأمر الهام)

عدد كلمات القصة: ٦٨٢ كلمة

اسم المجموعة: التميز

القائدة: لين حاوي

الأعضاء: جنى الخالدي / حصة العوسي / موزة الخاطر / سارة القحطاني / نوف جلي